الصدق أنجى مع اللّه ..•

لما قدم عمر بن هبيرة واليا على العراق أحضر الحسن والشعبي - رحمهما الله - فقال لهما: أصلحكما الله! إن أميرالمؤمنين يزيد بن عبدالملك يكتب إليّ كتابا. أعرف في تنفيذها الهلكة، فأخاف إن أطعته غضب الله، وإن عصيته لم آمن سطوته، فما تريان لي؟ فقال الحسن للشعبي: يا أبا عمرو أجب الأمير، فرق له في القول، وانحط في هوى ابن هبيرة، وكان ابن هبيرة لا يستشفي دون أن يسمع قول الحسن، فقال: قل ما عندك يا أبا سعيد. فقال الحسن: أو ليس قد قال الشعبي؟! فقال ابن هبيرة: فما تقول أنت ؟

فقال: أقول: والله إنه يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله فظ غليظ لا يعصي الله ما أمره، فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، فلا يغني عنك ابن عبد الملك شيئا، وإني لأرجو أن الله عز وجل سيعصمك من يزيد، وإن يزيد لا يمنعك من الله، فاتق الله أيها الأمير، فإنك لا تأمن أن ينظر الله إليك وأنت على أقبح ما تكون عليه من طاعة يزيد نظرة يمقتك بها، فيغلق عنك باب الرحمة.

واعلم أني أخوفك ما خوفك الله سبحانه، حين يقول: ﴿... ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ (إبراهيم)، وإذا كنت مع الله عز وجل في طاعته، كفاك بوائق يزيد، وإن كنت مع يزيد على معصية الله، وكلك الله إلى يزيد حين لا يغني عنك شيئا.

فبكى عمر بن هبيرة بكاء شديدا، ثم انصرفا، فأجزل جائزة الحسن، وقصر في جائزة الشعبي، ثم خرج الشعبي إلى المسجد، فلما اجتمع أهل مجلسه، قال: أيها الناس! من استطاع منكم أن يؤثر الله عز وجل على خلقه فليفعل ! إن الأمير ابن هبيرة أرسل إليّ وإلى الحسن، فوالذي نفسي بيده ما علم الحسن شيئا جهلته، ولكني راعيت ابن هبيرة وأردت رضاه، وقصرت في قولي له، فأقصاني الله وأبعدني، وكان الحسن مع الله عز وجل فقربه وأدناه، وسخر له ابن هبيرة فآثره وحباه ■

الهوامش:

(•) كتاب الزهد للحسن البصري، ص١٦٥، تحقيق محمد عبدالرحيم، دار الحديث، القاهرة.